الفصل الثاني

القبائل الجرمانية

الجرمان أو التيوتون هم جزء من موجات من الهجرات التي إجتاحت أوربا في العصور الوسطى. كانوا أقرب عناصر البرابرة من حدود الإمبراطورية الرومانية.إنتشروا في القرنين الأول والثاني الميلادي في أواسط أوربا وشرقهاعبر نهري الراين والدانوب.أما الموطن الأول للجرمان فكان البلاد المحيطة ببحر البلطيق .أخذوا يتحركون من هناك الجنوبا ليحلوا محل الكلت حتى غستقروا في المناطق الواقعة بين نهري الالب والراين .

أطلق عليهم الرومان أيضا إسم البرابرة ، لانهم نظروا اليهم على نحو متدني .كان الجرمان يحتلون الأراضيالتي تسمى اليوم ألمانيا والنمسا ، وعم فرع من العرق الآري الذي كان يسكن قديما في آسيا ، وربما كانوا يقيمون على شواطىء بحر الخزر(قزوين) . إستقرت القبائل الجرمانية في بداية العصور التاريخية في حوضي نهري الأودر والألب . اختلف المؤرخون في أصول **القبائل الجرمانية** Germanic Tribes ، والمنطقة التي كانت تسكن فيها قبل دخولهم الى الإمبراطورية الرومانية والسبب في ذلك هو قلة الكتابات المعاصرة عن هذه القبائل قبل دخولها الى الإمبراطورية.ويشير غالبية المؤرخين الى ان هذه القبائل ذات أصول آسيوية دخلت الإمبراطورية بسبب الضغط الحاصل عليها من مجموعات آسيوية أخرى.ويعد كتاب (تاكيتوس Tacitus) المعنون (جرمانيا – Germania) من اقدم ما كتب عن الجرمان وعاداتهم وتقاليدهم الأولى ، ويرجع هذا الكتاب الى القرن الثاني الميلادي ، حيث زارهم تاكيتوس وعاش بينهم وقدم وصفاً لحياتهم. ووفقا الى تاكيتوس ، إحتفظ الجرمان بكثير من التقاليد والنظم التي تعارضت مع المفاهيم الرومانية .كان الفرد هو أساس المجتمع الجرماني وتحدد أهميته وفقا لسطوته وقوته ونفوذه .تميز الجمان بطاعة زعيمهم الذي يمثل القانون بالنسبة لهم . أما أخلاقهم فكانت مزيجا من النقائض والفضائل التي عرفت بها الشعوب البدائية . متميزوا أيضا بإحترام المرأة والأكتفاء بزوجة واحدة ، إلا أن النبلاء تخلوا عن هذه العادة عندما إزداد نفوذهم وثرواتهم.

كانت ديانة الجرمان خليطا من الأساطير وعبادة قوى الطبيعةمثل الشمس والقمر والرعد وغيرها.إلا أنهم لم يقيموا تماثيل أو معابد ولم يؤلف كهنتهم طبقة خاصة في مجتمعهم. كانت الأسرة أساس المجتمع الجرماني وسلطة الاب مطلقة وتكون مجموعة الاسر المرتبطة برابطة الدم العشائر التي شكلت أساس دولتهم فيما بعد.وتكون مجتمعهم من النبلاء ولأحرار والعبيد ، وكانت الطبقة الأولى هي المتنفذة وعملها الأساس هو القتال .

Scanned with CamScanner

والجرمان Germans او التيوتون Teutons هم أعداد كبيرة من القبائل التي دخلت الإمبراطورية الرومانية في مدد مختلفة، ويمكن ان نحدد القبائل الجرمانية التي أدت دوراً مهماً في التاريخ الأوربي الوسيط بما يأتي :-

1- الغوط الغربيون Visigoths .
2- الغوط الشرقيون Ostrogoths
3- الوندال Vandals
4- اللمبارد Lombards
5- البروكنديون Brugandians
6- الانكليز Angles
7- السكسون Saxons
8- الانكليز Angles
9- الفرنجة Franks
10-الجوت Jutes

الغوط الغربيون Visigoths :

تقسم القبائل البربرية التي غزت الإمبراطورية الرومانية الى قسمين :-

القبائل الآسيوية والقبائل الجرمانية . ضمت القبائل الآسيوية قبيلة الهون Huns التي هاجرت غرباً الى أواسط آسيا في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي وأخذت تمارس ضغطاً على القبائل الجرمانية المتواجدة على جانبي البحر الأسود الشمالية والشمالية الغربية . كان الإصطدام الأول لقبائل الهون مع قبائل الالن Allens التي كانت موجودة في تلك المناطق الى جانب قبيلتي الغوط الغربيين والغوط الشرقيين . تمكن الهون من الإنتصار على قبيلة الغوط الشرقيين الذين تم ضمهم تحت سيادة الهون ، ثم استطاع الغوط الغربيون الاتجاه صوب أقاليم الإمبراطورية الرومانية ، فقدموا طلباً الى الإمبراطور الروماني فالنز Valens الذي كان يقيم في القسطنطينية، وكان الطلب في عام 376م، وفحوى هذا الطلب ان يسمح لهم بالإقامة داخل حدود الإمبراطورية . وافق الإمبراطور على الطلب ويمكن تلخيص أهم دوافع الإمبراطور فالنز عندما وافق على طلب الغوط الغربيين بالاستقرار في الإمبراطورية الرومانية بما يأتي :-

1- الاستفادة منهم كحاجز عسكري يصد هجمات الهون.
2- امكانية الاستفادة منهم في الزراعة.
3- لتقوية المذهب الاريوسي الذي كان يعتنقه الإمبراطور فالنز لان قبائل الغوط اعتنقوا المسيحية وفقاً للمذهب الاريوسي.

Scanned with CamScanner

تلاشى أمل الإمبراطور فالنز بالأفادة من هذه القبائل ، اذ حدث سوء تفاهم بين تلك القبائل وبين الجيش الروماني إثناء عبور نهر الدانوب، الى جانب ان الحامية الرومانية في الدانوب لم تنفذ أوامر الإمبراطور في تلك المنطقة مما أدى الى اثارة قبائل الغوط الغربيين، فحدثت مناوشات عسكرية تطورت الى معركة كبرى بين الحامية الرومانية والغوط الغربيين ويطلق على هذه المعركة بين الجانبين اسم **معركة ادرنة** الشهيرة Adrianople Battle التي حدثت في سنة (378م) وحقق فيها الغوط الغربيون انتصاراً كبيراً . أدت هذه المعركة الى قتل الإمبراطور الروماني فالنز . أشرت **معركة أدرنة** تحولا كبيرا في وضع الإمبراطورية وقدرتها على صد الهجمات الجرمانية . فإنتصار الغوط الغربيون على الرومان أشر مدى ضعف الإمبراطورية وعدم قدرتها على الحفاظ على الأمن الداخلي . وهذا الإنتصار بين قدرة هذه القبائل الجديدة على التأثير على مصير الإمبراطورية. ووفقا لهذا الفهم، عد بعض المؤرخين **معركة أدرنة** بداية لعصر جديد ، أطلقوا عليه العصور الوسطى . فكانت هذه المعركة من وجهة بعض المؤرخين نهاية للتاريخ القديم وبداية للعصور الوسطى.

تمكن الإمبراطور الذي تولى الحكم بعد فالنز وهو ثيودوسيوس الاول Theodosius1(378–395م) ، الذي تمكن من تهدئة الغوط الغربيين وسمح لهم بالسكن في مناطق الادرياتك البلقانية، اما السبب الأساسي للسماح لهذه القبائل بالتحرك نحو الجهات الغربية فهو ابعاد خطرهم عن القسطنطينية لان المناطق الغربية من الإمبراطورية لم تعد مناطق ستراتيجية بالنسبة للأباطرة الرومان الشرقيين . وكان الغوط الغربيون يقومون بغارات متواصلة على ايطاليا خاصة بعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس ، اذ قسم هذا الإمبراطورية الإمبراطورية بين ولديه هونوريوس الذي حكم بين (395–424م) واركاديوس الذي حكم في الجزء الشرقي بين (395–408م).

كان المتسلط على شخصية هونوريوس في القسم الغربي رئيس وزرائه **ستيلكو** وهو من اصل جرماني . اتبع ستيلكو أساليب دبلوماسية مع قبائل الغوط الغربيين ، فكانوا هادئين طالما كان ستيلكو في منصبه ، إلا انه في سنة (408م) حرك بعض الرومان في البلاط **هورنوريوس** ضد ستيلكو واتهموا الأخير بالتواطؤ مع الغوط الغربيين ضد الإمبراطور، مما دفع هورنوريوس الى اغتيال ستيلكو سنة (408م) ، وقد ادى ذلك الى هياج الغوط الغربيين في عهد زعيمهم الاريك Alaric . قدم الاريك مطالب الى هونوريوس منها استمرار الأتاوات التي كانت تدفع لهم من قبل ستيلكو وان يعينه حاكماً عاماً على جهات الادرياتك الشمالية ، وان يخصص لقبائله بعض الأراضي في داخل ايطاليا . ولم يكن في وسع الإمبراطور ان يوافق على ذلك ، فأدى رفضه الى زحف الغوط الغربيين على روما وحاصروها بين (408–410م) فسقطت روما بيد الغوط الغربيين عام (410م)، وهذا السقوط هو الذي ولد ارتداداً في صفوف المسيحيين مما دفع

Scanned with CamScanner

القديس أوغسطين الى تأليف كتابه **مدينة الله** The City of God . كان هذا السقوط لحاضرة الإمبراطورية الرومانية قد أشر أيضا مدى ضعف الإمبراطورية أمام الوافدين الجدد ، فعده لفيف من المؤرخين أيضا مؤشرا لعصر جديد يختلف عن سابقه ، فرأوا في عام 410 بداية للعصور الوسطى ونهاية للتاريخ القديم.

لم يكن الاريك يريد الاستيلاء على روما ، لهذا غادرها الى الجهات الغربية حيث توفي هناك وتولى السلطة مكانه ، **اتولف** ، الذي ابرم اتفاقاً مع هونوريوس تضمن انسحاب القبائل من ايطاليا والسكن في بلاد الغال ،ومن شروط هذا الاتفاق زواج اتولف من اخت الإمبراطور هونوريوس واسمها **كالابلاسيديا**. ظل الغوط الغربيون في بلاد الغال الى ان دفعتهم قبائل جرمانية أخرى الى اسبانيا، فظلوا هناك حتى فتح العرب المسلمين **شبه الجزيرة الإيبيرية** عام (711م).

الوندال Vandals :

كان الوندال يسكنون في مناطق البحر الأسود ثم اندفعوا أمام قبائل الغوط الغربيين من جهات الراين الجنوبية وتوجهوا الى اسبانيا في بداية القرن الخامس، ثم غادروا اسبانيا بعد عبورهم البحر المتوسط في سنة (429م) بقيادة زعيمهم **جزريك Gaiseric** ، وتمكنوا في سنة (439م) من الاستيلاء على قرطاجة وهناك شكلوا دولة استمرت حتى سنة (534م) ، اما الأسباب التي دفعتهم الى العبور من اسبانيا الى الشمال الإفريقي فيمكن أجمالها بما يأتي :

1- الضغط الحاصل عليهم من قبائل الغوط الغربيين.
2- التنافس بين زعماء الرومان في جهات قرطاجة واستعانة احد الأطراف بهم.
3- الاضطهاد الحاصل ضد الفرقة الرومانية في الشمال الإفريقي واستعانة هذه الفرقة بهم.

أستولى الوندال على البلاد الممتدة من طنجة حتى طرابلس ، كما سقطت قرطاجة ، أهم مدينة في الغرب بعد روما .اخذ الوندال يشنون هجمات على ايطاليا من الشمال الإفريقي وقد هاجموا روما سنة (455م) و تمكنوا من احتلالها، الا أنهم انسحبوا منها نتيجة جهود أحد البابوات وهو ليو الكبير Leo The Great. استمر حكم الوندال في الشمال الإفريقي حتى سنة (534م) عندما تمكنت الإمبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان من القضاء عليهم، إذ أرسل جستنيان قائده بلزاريوس الذي إستطاع القضاء على دولة الوندال بعد أن إستمرت خمسا وتسعين سنة منذ إستيلائهم على قرطاجة سنة 439 م .

الانكليز والسكسون والجوت Angles, Saxons and Jutes :

كانت هذه القبائل تسكن المناطق الشمالية الغربية من المانيا ثم اندفعت الى الجزر البريطانية في أوائل القرن الخامس الميلادي على اثر إنسحاب الحامية الرومانية من بريطانيا سنة (408م) ومحاولة السلطات الرومانية في جنوب ايطاليا سحب جيشها وتقليص حدودها

Scanned with CamScanner